العودة إلى حصار بيروت

استعصى أحمد الجزار في بيروت، فاستعان الأمير (يوسف شهاب) بظاهر العمر وبمساعدة المراكب الروسية استسلمت المدينة وخضع الجزار وطلب مهلة ليسلمها، على أن يدعوه يخرج منها بأمواله سالماً، فكان له ذلك فخرج منها ملتجئاً إلى الشيخ (حسين تلحوق) الذي أرسله بدوره إلى ظاهر العمر في عكا بعد أن أخذ له الأمان وولاه على القدس ولكنه عاد فغدر وهرب إلى دمشق، ثم إلى استنبول.

الحملة على مصر، وبداية هزائم ظاهر

عندما هرب علي بك من مصر إلى عكا أقنع ظاهراً أن يعطيه من الأموال ما يكفيه ويجند له عسكراً تعود به لمنازلة (محمد أبو الذهب) فتحركت أطماع ظاهر فجند من أهل بلاده ما يناهز (30) ألف رجل بقيادة ولده الأكبر صليبي وساروا متجهين إلى مصر.

وفي الصالحية على الحدود المصرية التقوا بطلائع العساكر المصرية فقتل علي بك واستسلم من معه من الغلمان، في حين قاتل صليبي وفرسانه حتى هلكوا جميعاً لأنهم لم يستطيعوا الصمود أمام جيش مصر والقوات السلطانية.

وتابع الجيش المصري زحفه باتجاه الشمال فحاصر (يافا) مدة سبعة أشهر ثم استولى عليها وقتل واليها (كريم الأيوب).. ولم تجرؤ نجدة بقيادة علي الظاهر على الوصول إلى ساحة المعركة. بل بقوا في جهات قيسارية فيما كان عثمان الظاهر يثبط الهمم ويحذر جند أبيه من قتال أبي الذهب والجند السلطاني.

وتابع أبو الذهب زحفه باتجاه عكا فهرب ظاهر من عكا إلى هونين واحتمى بقلعتها وخرج أهل عكا إلى الجبال وهرب المسيحيون إلى (دير المخلص) في لبنان.

ولكن ابا الذهب سرعان ما مات في الثلاثين من أيار 1775م وعاد (الشيخ ظاهر) لحكم عكا من جديد.

حصار عكا من البحر ونهاية ظاهر

ولكن فرحة ظاهر لم تطل، إذ أوعزت الدولة إلى قبطان البحر (حسن باشا الجزائري) بالتوجه بأسطوله لحصار عكا. كما أمرت بعض ولاتها كمحمد باشا